

الفصل الأول

[فى نجابة^(١) الأبناء وحُسن أجوبة الأذكياء]

□ مناقب الرسول - ﷺ - قبل الرسالة :

وقد منّ الله - سبحانه وتعالى - بالبُداءة^(٢) فى هذا الفصل بقرّة كلّ عين ، وغرّة كل زين ، أعلى المولودين قدراً ، وأشرفهم حسَباً وذكراً ، سيد الأولين والآخرين ، ورسول ربّ العالمين ، سيدنا ونبينا محمد - ﷺ - ،

□ إكرام عبد المطلب له - ﷺ - وهو صغير :

وهو ما روى أن عبد المطلب - جدّ النبی - ﷺ - كان يفرش له فراشاً إلى جدار الكعبة فيجلس عليه فى ظلّها ، ويُحدّق بفراشه بنوه وغيرهم من سادات عشيرته ، وكان الفراش يُفرّش له ويجمعون إليه قبل مجيئه ، فيأتى النبی - ﷺ - وهو طفل صغير يدبّ ، فلا يثنيه عن الفراش شيء حتى يجلس عليه ، فتزيله أعمامه عنه فيبكي حتى يردوه إليه ، فاطلع عليهم عبد المطلب يوماً وقد أزالوا النبی - ﷺ - عن الفراش وهو يبكي ، فقال : رُدوا ابني إلّى فإنّه يُحدّث نفسه بمُلكٍ عظيم وسيكون له شأن ، فكانوا بعد ذلك لا يردونه عن الفراش^(٣) . وأرسلت أمانة بنت وهب أمّ رسول الله - ﷺ - جاريتها إلى عبد المطلب - فى الليلة التى ولدت فيها رسول الله - ﷺ - بأن يأتى إليها ، وكان عبد المطلب يطوف بالبيت تلك الساعة ، فأتاها ، فقالت له : يا أبا الحارث قد وُلِدَ لَكَ الليلة مولود له أمر عجيب ، فذعر^(٤) عبد المطلب وقال : أليس

(١) نجابة : يقال تُجِب الولد نجابة : ثبّه وبان فضله على من كان مثله ، ويقول الشاعر :

نِعِمَ إِلَهُهُ عَلَى الْعِبَادِ كَثِيرَةٌ وَأَجَلُهُنَّ نَجَابَةٌ الْأَوْلَادِ

(٢) البُداءة (بضم الباء) : البدء . يقال : لك البُداءة : البدء .

(٣) أرجع إلى السيرة النبوية لابن هشام تحت عنوان : « حال الرسول - ﷺ - مع جده عبد المطلب بعد وفاة أمانة » ، وقد ذكر ابن كثير فى البداية والنهاية فصلاً فى رعاية جده عبد المطلب وعمه أبى طالب تضمن ما ذكره المؤلف فى مختصره هذا .

(٤) ذُعر : خاف وفرع .

هو بشراً سوياً ؟ قالت : بلى ، ولكنه سقط حين خرج خائراً كالرجل الساجد ، ثم رفع رأسه وأصبعه نحو السماء حين لا تقبل رقبة رأساً ولا ذراعاً كفاً ، وخرج معه نور ملأ البيت ، فصارت النجوم تدنو حتى ظننا أنها تسقط علينا .

ثم قالت آمنة : يا أبا الحارث إنه لما اشتد بى المخاض كثرت على الأيدى فى البيت ، وحين خرج هذا المولود إلى الدنيا خرج معه نور رأيت فيه قصور بصري من أرض^(*) الشام ، ولقد قيل لى فى منامى قبل أن ألدّه : إنك ستلدين سيد هذه الأمة ، فإذا ولدته فسميه محمداً ، وإذا وقع على الأرض فقولى :

أَعِيْذُهُ بِالْوَحْدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ
فقال عبد المطلب : أخرجنى إلى ابنى فلقد كنت الساعة أطوف بالبيت فرأيت ما لم أكن أرى : إنه سقط على ، ثم إنه استوى منتصباً وسمعت من تلقائه قائلاً : يقول الآن طهرنى ربي ! ، وسقط هبل على رأسه ، حتى جعلت أمسح عيني وأقول : إنما أنا نائم . فأخرجته إليه فقبله ، وانطلق به إلى الكعبة فطاف بها سبعاً ثم وقف به عند الملتزم وجعل يقول :

يَا رَبِّ كُلِّ طَائِفٍ وَهَاجِدٍ وَرَبِّ كُلِّ غَائِبٍ وَشَاهِدٍ
أَدْعُوكَ وَاللَّيْلَ طَفُوحَ رَاكِدٍ لَأَهْمُ فَاصْرَفْ عَنْهُ كَيْدَ الْكَائِدِ
وَاحْطَمْ بِهِ كُلَّ عُنُودٍ صَاهِدٍ^(١) وَانْشِ مَاحِلِدَ الْأَوَابِدِ
فى سود رأس وجد صاعد

[قصة سيف بن ذى يزن]

وبشارته بالنبي الأمي

● وقال ابن عباس - رضى الله عنه - : لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة أتته وفود العرب ؛ خطبواها وأشرفها ، وشعراؤها ليشكروه على الأخذ بثأره ، ويهنتوه بما صار إليه من الملك ، وقدم إليه وفد قريش وفيهم^(*) ذكره ابن كثير من حديث للإمام أحمد « .. ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام » .

(١) الصاهد : الشديد .

عبد المطلب بن هاشم وأمّية بن عبد شمس فاستأذنوا عليه وهو فى رأس قصر يقال له : غُمْدَان بصنعاء اليمن ، فأذن لهم ، فدخلوا عليه فإذا هو متضمخ بالمسك ، وعليه بُردان والتاج عليه - يعنى على رأسه - وسيفه بين يديه ، وملوك حِمير عن يمينه وشماله ، فاستأذنه عبد المطلب فى الكلام فقال : إن كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذّنا لك ، فقال عبد المطلب : « إن الله قد أحلك أيها الملك محلاً باذخاً منيعاً شامخاً ، وأنتك نباتاً طابت أرومته ، وعذبت جُرثومته^(١) ، وثبت أصله ، وبَسَقَ فرعه^(٢) بأحسن معدن وأطيب موطن ، فأنت - أبيت اللعن^(٣) - ملك العرب الذى له تنقاد ، وعمودها الذى عليه الاعتماد . وسائسها الذى بيده القياد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، لن يخل من هم سلفه ، ولا يهلك من أنت خلفه . نحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته^(٤) .

فقال له الملك : من أنت أيها المتكلم ؟ قال : عبد المطلب بن هاشم ، قال : ابن أختنا ؟ قال : نعم .

فأقبل عليه من بين القوم وقال : مرحباً وأهلاً ، وناقَةٌ ورَحْلاً ، ومُسْتَنَاحاً سهْلاً ، ملكاً رَبحْلاً^(٥) ، يعطى عطاءً جزلاً ، قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرباتكم ، أنتم أهل الليل والنهار لكم الكرامة إذا أقمت ، والجِباء إذا طعنتم ، ثم أمر بهم إلى دار الضيافة ، وأجرى عليهم الأنزال ، فأقاموا شهراً لا يؤذن لهم ولا يصلون إليه ، ثم إنه انتبه لهم انتباهة ، فأرسل إلى عبد المطلب خاصة ، فأتاه فأخلاه ثم قال له : إني مُفَضَّرُ إليك من سرى وعلمى فليكن عندك مطوياً حتى يأذن الله فيه بأمره ، إني أجد فى الكتاب الناطق والعلم الصادق - الذى اخترناه لأنفسنا واحتجبناه دون غيرنا - خبراً عظيماً وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة ، وهو للناس كافة ، ولقومك عامة ، ولك خاصة .

(١) الأرومة الأصل ، وكذلك الجرثومة .

(٢) بسق فرعه : طال وامتد .

(٣) تحية قديمة عند العرب أى أبيت أن تفعل ما يستوجب اللعن .

(٤) السدنة : جمع سادن وهو خادم الكعبة .

(٥) رَبحْلاً : كثير العطاء عظيم الشأن . وقد ذكرت هذه القصة فى دلائل النبوة لأبى نعيم

(ص ٥٧ ج ١) وتناولتها كتب السيرة ، وتاريخ الأدب . انظر ابن كثير المجلد الأول ص ٧٧٧ قصة سيف بن ذى يزن الحميرى وبشارته بالنبي الأمى .

قال عبد المطلب : أبيت اللعن لقد [أُبْتُ بخير مآب به]^(١) وافد ، ولولا هية الملك وإجلاله لسألته عن كشف بشارته إياى ما أزداد به سروراً ، فقال الملك : نبى هذا حينه الذى يُولد فيه ، اسمه مُحَمَّد ، حَدَلَج الساقين ، أَنْجَلُ العينين ، فى عينه علامة وبين كتفيه شامة ، أبيض كأن وجهه فلقة قمر ، يموت أبوه وأمه ، ويكفله جَدّه وعمّه ، والله باعنه جهازاً وجاعل له منا أنصاراً ، يعزّ بهم أوليائه ، ويُذلّ بهم أعداءه ، يكسر الأوثان ، ويعبد الرحمن ، ويُحمد النيران ، وَيَذْخُرُ الشيطان ، قوله فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ويطله . فقال عبد المطلب : عَزَّ جَدُّكَ وَعَلَا كَعْبُكَ وطال عُمرُكَ ، هل الملك سارّ لى بإفصاح ؟ ، فقد أوضح لى بعض الإيضاح ، فقال له الملك : والبيت ذى الحجب ، والعلامات على النصب ، إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب .

قال : فخر عبد المطلب ساجداً ، ثم رفع رأسه ، فقال له الملك : ثلج صدرُكَ وعلا أُمُرُكَ وبلَغَكَ أَمْلُكَ فى عَقَبِكَ ، هل أحسست بشيء مما ذكرت لك ؟ قال : نعم ، قال : كان لى ابن كنت عليه شقيقاً وبه رفيقاً زوجته كريمة من كرائم قومي ، وهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، فجاءت بغلام سميته محمداً ، حَدَلَج الساقين ، أَنْجَلُ العينين^(٢) ، بين كَتَفَيْهِ شامة ، فيه كل ما ذكر الملك من العلامات ، مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه .

فقال الملك : الذى قلت لك كما قلت ، فاحتفظ بابنك ، واحذر عليه من اليهود فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً ، والله مُظْهِرٌ دعوته وناصرٌ شيعته ، فامض على ما ذكرته لك واسترّه دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فلست آمنُ أن تَدْخُلَهُمُ النفاسة من أن يكون لك الرياسة ، فينصبون لك الحبال ، ويطلبون بك الغوائل ، وهم فاعلون ذلك أو أبناؤهم ، وإن عَزَّه لباهر ، وإن حظَّهم به لوافر ، ولولا عِلْمى أن الموت يطلببنى لسرْتُ إليه بخيلى وَرَجَلِي^(٣) حتى أصير يثيرب دار مملكته ، فأكونَ أخاه ووزيره ، وصاحبه وظهيره ، فأبى أجد فى الكتاب المكنون ، والعلم المخزون أن يثيرب استحكام

(١) ما بين المعقوفين غير واضح بالخطوطة وصوبته من البداية والنهاية . وأبْتُ : رجعت وعدت ، والمراد : أنه أكرم إلى جانب هذا النبأ السار الذى سيعود به من رحلته هذه .

(٢) الحَدَلَج : المعتل الذراعين والساقين ، أَنْجَلُ العينين : واسعهما فى حسن . والشامة : علامة فى البدن يخالف لونها لون سائرته . (٣) وَرَجَلِي : اسم لجمع الرجل وهو (الماشى على رجله) .

أمره ، وأهل نُصْرته ، وارتفاع ذكره ، وموضع قبره ، ولولا أنى أقيه الآفات ، وأحذر عليه العاهات لأظهرت أمره ، وأوطأت العرب كعبه على صغر سِنِّه ، ولكنى صارف ذلك إليك عن غير تقصير بك .

ثم أمر لكل رجل من القوم بعشرة أُعْبِدَ ، وعشرة إماء سود وعشرة أُرْطِلَ من ذهب ، وأمر لعبد المطلب بعشرة أمثال ذلك ، وقال لعبد المطلب : إذا كان رأس الحول فَاتْنِ بِخَبْرِهِ ، وما يكون من أمره ، فمات الملك قبل أن يحول الحول ، فكان عبد المطلب يقول لأصحابه : لا يقبطنى أحد بعباء الملك ولكن يقبطنى بما أسر إليَّ الملك ، فيقال له : ماهو ؟ فيسكت^(١).

[الفِرَاسَة وحليمة السعدية]

● وقالت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية - وهى مُرضعة رسول الله ﷺ - قدم علينا قائف ، تعنى : رجلاً متفرساً لا تخطىء فراسته (وهم قوم بأعيانهم من بنى مُذَلِّج يتوارثون القِيَافَة ، وكانت العرب تقضى بأحكامهم إذا ألحقوا رجلاً بقوم أو ثقوه عندهم والشرع حكم بالقضاء بقولهم) .

قالت حليمة : فانطلق الناس بأولادهم إلى ذلك القائف يقفوا لهم ، قالت : وانطلق الحارث بن عبد العزى - تعنى زوجها - برسول الله ﷺ - وهو فى سن الرضاع ، فأخذه من عبد العزى وقبَّله ، وقال : ما ينبغى لهذا الصبى أن يكون من بنى سعد ، قال : صدقت وهو مُسْتَرْضَعٌ فينا ، وهو ابنى من الرضاعة ، فقال القائف : اردده على أهله فإن له شأنًا عظيمًا ، وستفترق فيه العرب ، ثم تجتمع عليه .

[من مناقبه - ﷺ - قبل الرسالة]

● وقال جعفر بن أبى طالب : خرج رسول الله ﷺ - وهو طفل صغير يلعب فرآه قوم من بنى مُذَلِّج ، وهم القافة ، فدعوه ونظروا إلى قدميه ، وفقده عبد المطلب فخرج فى طلبه حتى انتهى إليهم ورسول الله ﷺ - بين أيديهم وهم يتأملونه ، فقالوا : ماهذا الغلام ؟ قال : ابنى ، فقالوا :

(١) كان سكوته : خوفاً عليه ، وعملاً بالوصية . انظر دلائل النبوة (١/ ٥٦ - ٦٠) ، والبداية (١٧٧/ ٧٧٩) وغيرهما ، وذكره الخرائطى .

احتفظ به فما رأينا قدماً أشبه بالقدم الذى فى المقام من قدميه - يعنون إبراهيم - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام -، فى الجُجر المسمى بمقام إبراهيم .

● وروى أن قريشاً اجتمعت فى دار الندوة يتشاورون فى أمرٍ مُهمٍّ ، وحضرهم قَيْلٌ^(١) من أقبال اليمن ، فدخل رسولُ الله - ﷺ - دارَ الندوة وهو صَبِيٌّ يدعو عمه أبا طالب ، فنهض إليه أبو طالب حين أشار إليه وخرجا معاً ، فقال القيل : يامعشر قريش ؛ مَنْ هذا الغلام الذى ينظر مرة بعينى لَبُوءَةٍ بحرية ومرة بعين عذراء خفرة ؟ فقالوا : هذا يتيم أبى طالب وهو ابن أخيه ، ثم قالوا : إن وصفك ينبىء عن غبطة فى صدرك ، فقال : أما ونَسراً - يعنى صنماً كانت حمير تعبد - لئن بلغ هذا أشده ليمتن قريشاً ثم ليحيتها ، ولقد نظر إليكم نظرة لو كانت سهماً لانتظم أفدتكم فؤاداً فؤاداً ، ثم نظر إليكم نظرة لو كانت نسيماً لأنشرت الموتى ، قالوا له : حَسْبُكَ ياقَيْلٌ حمير فإن الأمر غير ما تظن ، قال : سترون !.

● وروى أن أكرم بن صَيْفَى^(٢) - وهو حكيم العرب - حج فرأى النبی - ﷺ - وهو صَبِيٌّ يتبعُ عمَّه أبا طالب ، فقال أكرم لأبى طالب : ما أسرع ما شب أخوك - يعنى رسول الله - ﷺ - فقال أبو طالب : إنه ليس بأخى ولكنه ابن أخى عبد الله ، فقال : هذا ابن الذبيح ؟ قال : نعم ، وجعل أكرم يتأمله ويتوسَّمه ، ثم قال : يابن عبد المطلب ما تظنون بهذا الفتى ؟ قال أبو طالب : إنا لنُحْسِنُ به الظن ، وإنه لَحَيٌّ جرىء سَخِيٌّ وفَى ، قال : غير هذا يابن عبد المطلب ؟ قال : نعم إنه لذو شدة ولين ، ومجلس ركين ، ومفصلٌ مُبين . قال : هل غير هذا يابن عبد المطلب ؟ قال : نعم ، إنَّا لتتيمن بمشهدته وتعرف البركة فيما لمس بيده . فقال أكرم : هل غير هذا يابن عبد المطلب ؟ فقال أبو طالب بن عبد المطلب : إنه لغلام بعد وحرى به أن يسود ويعرف بالجود ، فقال أكرم : لكنى أقول غير هذا يابن عبد المطلب .

[فقال له] : قل فإنك ثَقَاتٌ^(٣) غيب ، وجَلَاءٌ ريب ، فقال أكرم ،

(١) القَيْلُ : من ملوك اليمن فى الجاهلية دون الملك الأعظم .

(٢) سمع جمع النبی - ﷺ - فهم بلقائه ، ولم يقدر له ، وكان من المعمرين (انظر الإصابة برقم ٤٨٢) .

(٣) ملهم .

أخلق بابين أخيك أن يضرب العرب قاطبة بيد خابطة^(١) ورجل لابطة^(٢)، ثم ينق بهم^(٣) إلى مربع^(٤) منيع ووُرد تشريع ، فمن مال إليه هداه ، ومن أحرورف عنه أرداه^(٥) .
فقال أبو طالب : إنه لأهل لذلك .

[من مناقب الرسول عليه الصلاة والسلام]

[بعد الرسالة]

□ ما تحدث به لأصحابه من علم الغيب :

● قال محمد بن محمد المقرئ المؤلف : لما اختصرت هنا شيئاً من مناقبه في حال صغره - ﷺ - أحببت أن أذكر شيئاً من مناقبه بعد الرسالة - ﷺ - وما تحدث به لأصحابه من علم الغيب مما علمه الله تعالى ، فمن ذلك :

□ ما وقع لعينة بن حصن :

أن النبي - ﷺ - كان محاصراً لأهل الطائف فقال عِيْنَةُ^(١) بن حصن ائذن لي حتى آتي حصن الطائف فأكلمهم ، فأذن له رسول الله - ﷺ - في ذلك فجاءهم فقال : أدنو منكم ولي الأمان ؟ قالوا : نعم ، فدخل عليهم فقال : فداكم أي وأمي ، والله لقد سرفني ما رأيت منكم ، والله ما لاقى محمد - ﷺ - مثلكم ، ولقد ملّ المقام ؛ فاثبتوا في حصنكم ؛ فإن حصنكم حصين ، وسلاحكم كثير ، وتبلكم حاضر ، وطعامكم وافر ، لا تخافون منه ، فلما خرج قالت ثقيف : نخشى أن يخبر محمداً بخالنا ، فلما رجع إلى النبي - ﷺ - قال له : « ما قلت لهم ؟ » قال : قلت لهم : ادخلوا في الإسلام

(١) خابطة : شديدة الضرب .

(٢) لابطة : تصرع . ويقال : لَبَطَ بفلان : سقط على الأرض من قيام فهو ملبوط . والمراد أنه

قوى شديد . (٣) ينق بهم : يصيح . (٤) المربع : الأرض يقام فيها زمن الربيع .

(٥) أحرورف عنه : انحرف أو أرداه : أهلكه .

(٦) قال ابن حجر في الإصابة : له صحبة ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ولم يصح له رواية .

أسلم قبل الفتح وشهد حينئذ والطائف ، وبعثه النبي - ﷺ - لبنى تميم فسي بعض بني العنبر ، ثم كان ممن ارتد في عهد أبي بكر ، ومال إلى طلحة فبايعه ، ثم عاد إلى الإسلام .

فوالله لا يرجع محمد عن دياركم حتى تنزلوا فخذوا لأنفسكم أمائاً وخذلتهم بما استطعت ، فقال له النبي - ﷺ - : « كذبت إنما قلت لهم كيت وكيت » ، فعاتبه أبو بكر - رضى الله عنه - فقال : ياأبا بكر أنا أستغفر الله ولا أعود لمثلها ! .

□ ما وقع من زيد بن لُصَيْت :

● ولما توجه النبي - ﷺ - إلى تبوك ضلت ناقته فنفر الناس في طلبها وعند النبي - ﷺ - عمار بن حزم وكان في رحله زيد بن لُصَيْت^(١) وكان يهودياً فأسلم ونافق^(٢) ، فقال زيد : يزعم محمد أنه نبي ويخبركم بخبر السماء وهو لا يعلم أين ناقته ! فقال رسول الله - ﷺ - : « إن منافقاً يقول : يزعم محمد أنه نبي ، أيخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته ؟! والله ما أدري إلا ما علمني الله ، وقد دلني عليها وهي في الوادى في شُعب كذا ، حبستها سَمُرة بزماتها » فانطلقوا فأتوه بها ، فرجع عمار بن حزم إلى رحله فقال : أتعجَّب لشيء حدثنا به رسول الله - ﷺ - عن مقالة قائل أخبر عنه فقال رجل كان جالساً : زيد والله قائل هذه المقالة ، قال : فأقبل عمار على زيد وقال : اخرج من رحلي ياعدو الله .

□ ما وقع من عمير بن وهب الجمحي :

● ولما رجع المشركون إلى مكة من بدر أقبل عُمَيْرُ بْنُ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ إلى صفوان بن أمية ، وقال : والله ما في العيش خير بعد قَتْلِي بدر ، ولولا دَيْنٌ عَلَيَّ لا أجد له قضاءً ، وعيالٌ لا أدعُ لهم شيئاً لرحلت إلى محمد حتى أقتله إن ملأت عيني منه ، وقد بلغني أنه يمشي في الأسواق ، ولى عندهم ابن أسير فأحتج عليهم بولدي . ففرح صفوان بقوله وقال : وهل أراك فاعلاً ؟! قال : إى ورب الكعبة ، قال صفوان : فعلتُ دَيْنُكَ وعيالك أسوة عيالي ، وأنت تعلم أنه ليس بمكة رجل أشد توسعاً على عياله مني ، فقال عمير : قد عرفت ذلك ياأبا وهب . قال : فحمله صفوان على بعيره وجهزه وأجرى على عياله ما يجرى على نفسه ، وتقلد عمير بسيفه وخرج إلى المدينة (١) قال ابن حجر في الإصابة بلام وصاد مهملة ومثناة مصغراً وقيل بنون أوله وآخره موحدة - القينقاعى .

ونقل القصة والحديث عن ابن إسحاق في المغازى .

(٢) قال ابن إسحاق : وقال بعض الناس : إن زيدا تاب ، وقيل : لا .

ولم يُعْلَمَ أحداً بذلك ، وقدم عمير فنزل على مسجد رسول الله - ﷺ - ، فنظره عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ومعه جماعة من أصحابه ، فقال : دونكم هذا عدو الله عمير بن وهب ، فنادى عمر : يا رسول الله هذا عمير ابن وهب قد دخل المسجد ومعه السلاح ، فقال رسول الله - ﷺ - : « أَدْخِلْهُ عَلَيَّ » ، فخرج عمر - رضى الله عنه - فأخذ بحمائل سيفه فقبض بيده عليها وأخذ بيده الأخرى قائمة السيف ، ثم أدخله على النبي - ﷺ - ، فلما رآه النبي - ﷺ - قال : « يا عمر تأخر عنه » ، فلما دنا منه قال النبي - ﷺ - : « ما أقدمك يا عمير ؟ » قال : قدمت لأجل أسيرى عندهم تحسنون إلينا فيه ، فقال النبي - ﷺ - : « فما بأل السيف ؟ » قال : قبحها الله من سيوف هل أغنت شيئاً إنما نسيته حين دخلت وهو في رقبتى ، قال : « فما شرطت لصفوان بن أمية في الحجر ؟ » ففرع عمير فقال : يا رسول الله وماذا شرطت له ؟ فقال : « تحملت بقتلى على أن يقضى دينك ويعول عيالك » ، فقال عمير : أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، كنّا نتهكم فيما نقول ، والله ما اطلع على هذا الأمر غير صفوان ، والله إنك لصادق ، وقد أمرت صفوان أن يكتم على هذا الأمر فأطلعك الله عليه ، فأمنت بالله وبرسوله ، وشهدت أن ما جئت به حق ، فقال النبي - ﷺ - : « علموا أحكام الصلاة والقرآن وأطلقوا له أسيره » ، فقال : والله إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله ، وقد هداني الله ، فله الحمد ، فأذن لي فألحق قريشاً فأدعوهم إلى الله وإلى دين الإسلام ، فأذن له فلحق بمكة ، وسأل صفوان عن عمير ، فقليل له : إنه أسلم ، فلعنه وحلف أنه لا يكلمه أبداً وطرح عياله ، وقدم عمير إلى مكة فدعاهم إلى الله تعالى وأخبرهم بصدق النبي - ﷺ - فأسلم معه خلق كثير جداً لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وتعالى^(١).

(١) ذكر ابن حجر هذه القصة والحديث في ترجمة عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن خذافة ابن جح القرشي الجمحي نقلا عن موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب . ثم قال ، وهكذا ذكره أبو الأسود عن عروة مرسل ، وأورده ابن إسحاق في المغازي عن محمد بن جعفر بن الزبير مرسل أيضاً ، وجاء من وجه آخر موصولا ، أخرجه ابن منده من طريق أبي الأزرع عن أنس أو غيره وقال ابن منده : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه الإصابة (ج ٤ ص ٧٢٧ - ٧٢٨) .

[من معجزاته صلى الله عليه وسلم]

● ومن معجزاته - ﷺ - :

إطعام الجمع الكثير من الطعام اليسير في عدة مواضع^(١).

وسبح الحصى في كفه^(٢).

وحنّ إليه الجذع^(٣) حين انتقل منه إلى المنبر كما تحن الناقة إلى ولدها حتى التزمه فسكن ، وقال : « أغرسك في الجنة ييذى فتأكل أولياء الله منك » وفوق ذلك مما قال له .

ووضع يده في مِضْأَةِ ففار الماء من بين أصابعه حتى شرب منه الخلق الكثير^(٤).

وظهر ذئب على غنم ، فقال الراعى : أما تعجبون من هذا الذئب ؟ فقال الذئب : أنتم أعجب ؛ قد ظهر بمكة نبي يدعو إلى الله أولاً تحيونه ؟! وأولاد الرجل يسمون بنى مكلم الذئب إلى يومنا هذا^(٥).

□ رد عين قتادة بعد أن خرجت حدقته :

● ولما أُصِيبَتْ عين قتادة بن النعمان الخزرجي يوم أحد^(٦) خرجت حدقته فجاء إلى النبي - ﷺ - فقال له : « أيما أحب إليك أن أسأل الله - عزَّ وجلَّ - أن يرد عليك عينك ، أو أسأله أن يحفظ عليك أجرك ؟ » . فقال : يارسول الله إن تحتى امرأة تحبني وأحبها وإن هذا يشينني عندها ، فاسأل الله تعالى أن يرد عليّ عيني فهو أكرم من أن يحرمني ثوابي .

فأخذ النبي - ﷺ - عينه بيده وردها إلى مكانها فأبصر بها في الحال كأحسن ما كانت وعاش بعد ذلك خمسين سنة فما رمدت عينه هذه ولا ضربت عليه أصلاً ، وكان يقول : هذه أشرف عيني وأصحهما ودخل بعض ولده على عمر بن عبد العزيز في يوم قسمة فقال : انتسب ، فقال هذين

(١) ثبت ذلك في صحيح البخارى كتاب الرقاق ، وانظر مسند أحمد (٢/٥١٥) .

(٢) انظر «دلائل النبوة» للبيهقى (٦٤/٦ - ٦٥) .

(٣) حنين الجذع ثابت في صحيح البخارى كتاب المناقب ، وانظر المسند (٣/٣٠٠) .

(٤) ثبت ذلك في صحيح البخارى كتاب «الاستسقاء» ومسلم في كتاب الفضائل وغيرهما .

(٥) ثبت ذلك في مسند أحمد (٣/٨٣ - ٨٤) وسنن الترمذى كتاب الفتن والبخارى في كتاب فضل الصحابة ، ودلائل النبوة للبيهقى (٦/٤٣) .

(٦) في دلائل النبوة للبيهقى (٣/٩٩ ، ١٠٠) أنه كان في يوم بدر وانظر الإصابة برقم (٧٠٧٦) .

البيتين :

أنا ابن الذي سألت على الحدة عيئه فُرِدَتْ بكف المصطفى أَحْسَنَ الرَّدِّ
فَعَادَتْ كما كانت كأحسن حالها فبوركت من عين وبوركت من يد

□ شاة أم معبد :

● ولما خرج النبي - ﷺ - من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر - رضى الله عنه - ودليلهما عبد الله بن الأريقط الليثي فمروا على أم معبد الخزاعية وكانت امرأة جلدة تحتبى في خِباءٍ خيمتها ثم تسقى وتطعم ، فسألوها لحماً وتمراً فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك ، وكان القوم مُرْمِلين مستئين^(١) فنظر النبي - ﷺ - إلى شاة خلفها الجَهد عن الغنم ، قال : « هل بها حَلَب ؟ » قالت : هي أجهد من ذلك ، قال : « أتأذنين لى أن أحلبها ؟ » قالت : بأى وأمى إن كان بها حلب فاحلبها فدعا بها رسول الله - ﷺ - ومسح بيده ضرعها فتفاجأت^(٢) ودرّت ، ودعا بإناء فحلبت ثَجًّا^(٣) ، حتى علاه الثُّمال^(٤) ، وسقاها حتى روت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم ، ثم بايعها وارتحل عنها ، فقلما لبثت حتى جاء زوجها يسوق غنماً عجافاً^(٥) ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب . وقال : من أين لك هذا يأم معبد والشاة عازب ولا حَلُوبية ؟ فقالت : الآن مرّى رجل مبارك حاله كذا وكذا ، قال : صفيه لى ، قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضأة ، حسن الوجه ، كريم الخلق لم تُعبه ثُجْلَةٌ^(٦) ولم تُزربه صُعْلَةٌ^(٧) ، وسيم قسيم ، فى عينه دعج^(٨) ، وفى أشفاره وطف^(٩) ، وفى صوته صحل^(١٠) ، وفى لحيته كثانة^(١١) ، أزج أقرن^(١٢) ، إن سكت علاه البهاء وإن تكلم سماه الوقار ، غصن بين غصنين ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى

(١) أرمل : افقر ، وأسنت القوم أصابتهم سنة وجذب وقطع .

(٢) تفاجأت : فرجت ما بين رجلها كما تفعل الشاة حين تملىء ضروعها فباعد ما بين رجلها لتضج مجالاها .

(٣) ثَجًّا : منصباً فى قوة وغزارة وتلاحق .

(٤) يقال أثمل اللبن ونحوه : كثرت رغوته . (٥) عجافاً : هزيلة جمع عجفاء .

(٦) ثُجْلَةٌ : ضخامة بطن .

(٧) صُعْلَةٌ : صغر الرأس أى ليس متصفا بما يعيب من ثجلة أو صعلة .

(٨) دعج : سواد العين (٩) الوطف : طول شعر الأجناف .

(١٠) صَحْلٌ : بُعْه . (١١) كثانة كثرة فى غير طول .

(١٢) الأزج : ذو حاجب دقيق مقوس ، أما الأقرن فهو الذى يلتقى طرفا حاجبيه .

أمره ، وإن نهى اجتنبوا ذلك ، محفود محشود^(١) ، لا عابس ، ولا مُفند^(٢) .
قال أبو معبد : هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذُكر ،
ولقد هممت أن أصحبه بقية عمرى ، فلأفعلن إن وجدتُ إلى ذلك سبيلاً .
□ رجل من أهل النار ! :

● وقال سهل بن سعد الساعدي : كنا مع النبى - ﷺ - فى غزاة
ومعنا رجل لا يبارز رجلاً من المشركين إلّا قتله ، فذكرنا ذلك للنبي
- ﷺ - فقال : « إنه من أهل النار » ، قال سعد : فمازلت أتبعه لأعرف
عاقبة أمره فأصابته جراحة واستبطأ الموت فوضع سيفه عند سرتة واتكأ
فمات^(٣) .

● وكثير من مثل ذلك أنه كان يخبر بالمعجيات والمعجزات - ﷺ -

[طريقة الأدب مع الملوك !]

● وأما نجابة أبناء رؤساء العصر فإن الرشيد - رضى الله عنه - أمر
جماعة من أهل العلم بمحادثة المأمون - وهو صغير - فى أول الليل ليقبَس
الأدب ، فجلس الحسن بن زياد ليلة فبينما هو يحادثه ، ويُشيدُه إذ نفس
المأمون ، فقال الحسن : نمت أيها الأمير فاستيقظ ! ، فقال : سوفئى أنت -
ورب الكعبة - يا غلام خذ بيده فأخرجْه ولا تأذنْ له فى الدّخول علينا
بعدها ! .

فبلغ الرشيد خبره فاستصوب رأيه^(٤) ! .

● وطريق الأدب مع الملوك إذا نام الملك أو الرئيس يخرج جلساؤه من
غير تشويش ولا حركة .

[فطنة المأمون ويقظته]

● وكان عبد الله المأمون يقرأ القرآن على الكسائى وهو إذ ذاك
صغير ، وكان من عادة الكسائى إذا قرأ عليه المأمون يُطْرِقُ رأسَه فإذا غلط
المأمون رفع الكسائى رأسه ، ونظر إليه ، فيرجع عبد الله إلى الصواب ، فقرأ
(١) محفود : يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون فى طاعته ، أما المحشود فهو الذى يجمع إليه
(٢) ولا مُفند : لا يوجه إليه لوم فلا يفعل ما يلام عليه .
(٣) متفق عليه . البخارى كتاب الجهاد ، باب لا يقال : فلان شهيد ومسلم كتاب الإيمان (برقم
(٤) ذكر الجاحظ هذه القصة فى البيان والبيان مختصرة . الجزء الثانى ص ٣٣٠ .

عبد الله يوماً « سورة الصف » فلما قرأ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾^(١) فرفع الكسائي رأسه ، ونظر عبد الله إليه فكرر الآية ، فوجدها صحيحة ؛ فمضى على قراءته وانصرف الكسائي ، ودخل عبد الله المأمون على الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كنت وعدت الكسائي وعداً فإنه مُتَّجِرُهُ^(٢) منك !.

قال : إنه كان التمس للقرء شيئاً ووعدته به ! ، فهل قال لك شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فما أطلعك على هذا ؟ فأخبره بالأمر . فسره ذلك من فطنة المأمون ويقظته .

[هارون الرشيد وأولاده]

● وقيل : إن هارون الرشيد استشار يحيى بن خالد فيمن يعهد إليه من أولاده : محمد الأمين ابن « زبيدة » أم عبد الله المأمون ابن « مراجل » ، فكان يحيى بن خالد يعلم ميل الرشيد إلى زبيدة أم الأمين وإيثاره لها ، فقال : أحضرهما يا أمير المؤمنين ، فأحضرهما - وهما إذ ذاك صبيان صغيران - ثم أغرى أحدهما على الآخر ، وأمرهما أن يتصارعا ، فوثب الأمين ، وجلس المأمون - وكان حليماً رزيناً - فقال له الرشيد : ما بالكَ يا عبد الله ! أخفت من ابن الهاشمية ؟ فقال المأمون : لم أخفه ، ولكن قبضَ يدي عنه ما قبضَ لساني ، فقال الرشيد : وما قبضَ لسانك ويدك ؟ قال : قول الشاعر :

خافوا الضغائنَ بينكم وتواصلوا عند الأبعاد والحضورِ الشَّهَد
بصلاح ذاتِ البينِ طولُ بقائكم وفناؤكم بتقاطع وتفرُّد
فما مثل ريب الدهر ألف بينكم بتعاطف وتراحم وتودُّد^(٣)
حتى تلين قلوبكم وجلودكم لسود منكم وغيرِ مُسود
إن السهامَ إذا جُمِعْنَ فرامها بالكسرِ ذو خُفٍ وبطش أيدٍ^(٤)
غرَّت فلم تُكسر وإن هي بُدِّدَت فالوهن والتكسر للمتبدد
فَرَّقَ الرشيد رقة شديدة واغزوقت عيناه دمعاً وكفكفها ، وأقبل على الأمين وقال : يا أحمد ما أنت صانع إن صرفَ الله إليك أمر هذه الأمة ؟ .

(١) الكسائي : هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي مؤدب المأمون ، وعالم النحو المشهور . وترجمته في إتياء الرواة (٢٧١/٢) والآية رقم ٢ من سورة الصف . (٢) يطلب منك إنجازَه !.

(٣) إن الشدائد تجمع بين القلوب ، وتؤلف بين النفوس بتعاطف وتراحم وتودد .

(٤) الأيد : القوى الشديد .

قال : أكون مهدياً يأمر المؤمنين ، قال الرشيد : إن فعلت فأنت أهله .
ثم أقبل على المأمون فقال : يا عبد الله ما أنت صانع إن صرف الله إليك
أمر هذه الأمة ؟ فابتدرت دموعُ المأمون ، وفطن الرشيد لما أبكاه فلم يملك
عينيه وأرسل دموعه ، ثم عاد الرشيدُ لمسألة^(١) المأمون قال : أغفني يا أمير
المؤمنين ، قال : لا بد أن تقول ، قال : إن قدرَ الله ذلك جعلت الحُزنَ شِعَاراً ،
والحُزَمَ دِثَاراً ، ومَقَالَ أمير المؤمنين مَشْعَراً لا تُسْتَحَلَّ حرماؤه ، وكتاباً لا تُبَدَّل
كلماته ! .

فأشار الرشيد إليهما فانصرفا ، ثم أقبل الرشيد على يَحْيَى بن خالد وأنشد
هذا البيت :

أَهْمُ بِأَمْرِ الْحَزَمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وقد حيل بين العَيْرِ والنَزْوَنِ
فقال يحيى بن خالد : هياَ اللهَ لأمرِ المؤمنين من أمره رشداً .

قال المؤلف - رحمه الله - : وسأذكر هنا معنى قول الرشيد هذا البيت :
أَهْمُ بِأَمْرِ الْحَزَمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وقد حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَزْوَانِ^(٢)
فالعير ، هو : حِمَارُ الْوَحْشِ ، والنزوان هو : الثوب على الأنثى ؛
والذي عناه الرشيد بذلك تركه للعهد للمأمون مع ما يعلمه من فضله وذكائه
ويقظته . وإنما أسند الأمر إلى الأمين غلبة لأجل أمه زبيدة ومحبة لها .

● وهذا البيت من قصيدة لصخر بن الشريد - وهو أخو الخنساء -
وكان سيد قومه ، وكان قد أغار على بنى أسد فأصابته طعنة فطال مرضه
من أجلها ، وكانت له امرأة جميلة ذات حُسن وبهاء ، وردف ثقيل ، وساق
مليح ، تسمى سُلَيْمَى ، فمر بها رجل من الحى فقال لها : أبيع هذا الكَفَلَ ؟!
قالت : نعم عما قريب ، فسمعها صخر من داخل البيت وهو ضعيف ! ، ثم
سمع امرأة تسأل أمه كيف أصبح صخر ؟ - فقالت أمه : نحن بخير مادامنا

(١) لمسألة المأمون : لسؤاله .

(٢) العَيْرُ : الحمار ويضرب هذا المثل لمن أيس منه .

وهذا البيت من جملة أبيات مشهورة لصخر أخى الخنساء ، وكان صخر المذكور قد حضر محاربة
بنى أسد ، فطعنه ربيعة بن ثور الأسدى فأدخل بعض حلقات الدرع في جنبه وبقي مدة حول في
أشد ما يكون من المرض ، وأمّه وزوجته سليمى تمرضانه فضجرت زوجته منه ، فموت بها امرأة
فسألته عن حاله فقالت : « لا هو حى فيرجى ولا ميت فينسى » فسمعها صخر فأنشد أبياتاً منها
هذا البيت وأولها :

أرى أمَّ صخرٍ لا تَمَلْ عيادتي ومَلَّتْ سليمى مَضْجعى ومكالى !

نرى وجهه ؟، ثم سمع امرأة تسأل زوجته عنه فقالت : « لَأَحْيِي فِرْجِي وَلَا مَيِّتٌ فَيُسَلَّى » وكل ذلك في ساعة واحدة ، فهم يقتل امرأته فلما دخلت إلى البيت قال لها : ناوليني سيفي لأنظر هل ثِقَلَهُ يَدِي أَمْ لَا ؟!، فناولته السيف فإذا هو لا يقدر أن يُقَلِّه فقال هذه الأبيات :

أَرَى أُمَّ صَخْرٍ لَا تَمَلُّ عِيَادَتِي وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعِي وَمَكَانِي
وما كنت أخشى - أن أكون جنازة - عليك ومن يغتر بالحدَثَانِ^(١)
ثم أنشد هذه الأبيات :

أَهْمُ بِأَمْرِ الْحَزْمِ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْغَيْرِ وَالتَّزْوَانِ
لِعَمْرِي لَقَدْ نَبِهْتُ مَنْ كَانَ نَائِمًا وَأَسْمَعْتُ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ
وَأَيُّ امْرِئٍ سَاوَى بَأْمٍ حَلِيلَةٍ فَلَا عَاشَ إِلَّا فِي شَقَا وَهَوَانِ^(٢)
ويقال إن الطعنة خرقت درعه ووصلت إلى جوفه فمات .

[مَا أَشَدُّ الْبَلَاءَ ؟]

● وسأل المهلب^(٣) بن أبي صُفْرَه ولده يزيد وهو صغير فقال له :
يا بني ما أَشَدُّ الْبَلَاءَ ؟ .
فقال : مُعَادَاةُ الْعُقَلَاءِ ، قال : فهل غير ذلك يا بني ؟ قال : نعم مُسَاءَلَةُ
الْبُخْلَاءِ .

قال : هل غير ذلك يا بني ؟ قال : نعم قال : أمر اللُّؤْمَاءِ عَلَى الْكِرْمَاءِ .

[يَا أَبَى عَلْمَنِ الصَّلَاةَ]

● وكان أبو يزيد البسطامي صغيراً فاستيقظ من نومه ليلة فرأى والدَه قائماً يصلي ، فقال : يَا أَبْتَ عَلْمَنِ كَيْفَ أَتَطَهَّرُ ، وأصلى معك ؟!، فقال أبوه : يَا بَنِي ارْقُدْ فَإِنَّكَ صَغِيرٌ!، فقال : يَا أَبْتَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَقُولُ لِرَبِّي : قُلْتُ لِأَبِي عَلْمَنِ كَيْفَ أَتَطَهَّرُ وَأَصْلِي مَعَكَ ؛ فقال لى : ارْقُدْ فَإِنَّكَ صَغِيرٌ ؟ فقال أبوه لَا وَاللَّهِ يَا بَنِي ، وَعَلَّمَهُ وَكَانَ يَصْلِي مَعَهُ ! .

(١) الْحَدَثَانِ : حدثان الدهر : نوابه وحوادثه .

(٢) ذُكِرَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ وَمَعَهَا الْأَبْيَاتُ فِي الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ (٢٦٢/١) وَالْأَغَانِي (١١٢/٤) وَالْأَمْثَالُ لِلْمِيدَانِي (٤٨٢/٢ - ٤٨٣) .

(٣) أمير من القادة ولى إمارة البصرة لمصعب بن الزبير اشتهر في محاربته الحوارج الأزرقاء حوالى عشرين سنة حتى تغلب عليهم ، ولى خراسان لعبد الملك بن مروان وثقوى بها .